اجتهادات
اللبنانيون تحت الخطر

بالرغم من أن مساحة لبنان أقل من 10 آلاف ونصف كم2، تختلفُ الحياة فيه اليوم من منطقةٍ إلى أخرى اختلافًا بينًا. يعيش اللبنانيون كلُهم تحت خطر العدوان الصهيونى-الأمريكى المُتدحرِج من الجنوب إلى الشمال. لكن شعورهم به وأثره فى حياتهم يقلان تدريجيًا كلما اتجهنا نحو الشمال.

لبنانيو الجنوب هم الأكثر شعورًا والأشد تأثرًا بهذا العدوان فى ظل القصف اليومى الذى دفع بعضَهم, ومازال, للنزوح شمالاً. فكلما اتجهنا جنوبًا تبدأ ملامحُ الحياة الطبيعية فى الاختفاء دون أن تتوارى تمامًا فى معظم الأحوال. تعرضت بعضُ بلدات الجنوب لاعتداءاتٍ عنيفةٍ هدمت أعدادًا متفاوتةً من المنازل أو ألحقت أضرارًا بها. ومع ذلك لم تخل معظم هذه البلدات من ساكنيها تماماً.

أكثر النازحين يُغادرون خوفًا على أطفالهم أكثر من حياتهم، أو لأن القصف الهمجى طال شبكة المياه أو الكهرباء. ولهذا بقى فى كثيرٍ من بلدات الجنوب بعض من لا أطفال معهم يخافون عليهم رغم أن الشوارع الخالية توحى بأنها باتت مهجورة. فالباقون يفضلون البقاء فى بيوتهم إلا حين ينزلون لشراء حاجاتهم من محال وصيدليات بقيت مفتوحة. ويستعين الباقون فى هذه البلدات بتضامنهم وتساندهم. فلا مجال لارتزاقٍ أو تربح، بل على العكس تُروى قصصُ عن مآثر إيثارٍ مؤثرة. وتبدو الهرمية الطائفية، فى هذه الحالة، كأنها نقيضُ للهرمية الطبقية.

الشعور بالخطر يصبحُ أقل حين تبلغ صيدا، حتى بعد أن بدا قريبًا عندما قُصفت بلدةُ على مشارفها قبل أيام. يكادُ هذا الشعور يختفى فى بيروت. تبدو الحياة فيها طبيعيةً إلى حدٍ كبير. وكذلك الحال فى طرابلس وغيرها من المدن والبلدات الشمالية. لم يعد فى بيروت الكثير من «باريس الشرق». ولكن مازال بها شىء من روحها التى لم تنطفئ, ولكنها صارت أقل توهجًا حين تُقارَن

بالفترة التى سبقت الحرب الأهلية 1975 حين كان توقدُها فى ذروته حتى إن بعض من لم يزوروا بيروت حينها شعروا بهذه الروح فى أعمال فنية شعرية وتشكيلية، ومسرحية أيضًا. وقل مثل ذلك عن غيرها من المدن والبلدات على اختلافها وتنوعها الشديد.